

قال المصنف - رحمه الله - : [٩٠ - وعن عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري رضي الله عنه قال :
حدثني البراء - وهو غير كذوب - قال : كان رسول الله ﷺ إذا قال : (سمع الله لمن حمده) لم
يحن منا أحد ظهره ، حتى يقع رسول الله ﷺ ساجداً ، ثم نقع سجوداً بعده] .

ذكر الإمام الحافظ - رحمه الله - هذا الحديث عن البراء بن عازب - رضي الله عنه وأرضاه - وهو يصف حال أصحاب النبي ﷺ - إذا صلوا معه في الجماعة قال رضي الله عنه وأرضاه : [كان النبي ﷺ إذا قال : (سمع الله لمن حمده)] هذه الجملة يسميها العلماء بـ "جملة التسميع" وهي واجبة من واجبات الصلاة وذلك أن النبي ﷺ جعلها ذكراً للرفع من الركوع وأذكار الانتقال فعلها رسول الله ﷺ - وواظب عليها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) . وعلى هذا : فلو صلى ونسي أن يقول : "سمع الله لمن حمده" ، فإنه يسجد سجدي السهو قبل السلام على القول الصحيح أن النقص قبل السلام ، وهكذا لو رفع رأسه من الركوع فغلط فقال : الله أكبر أو قال ذكراً آخر غير التسميع فإنه يجبره بالسجود كل ذلك مفرع على قولنا بأنه واجب وهو أصح قولي العلماء - رحمهم الله - .

وقوله : [لم يحن أحد منا ظهره] كان من هديه صلوات الله وسلامه عليه إذا رفع رأسه من الركوع قال وهو واقف : ((ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد)) وفي رواية : ((لا مانع لما أعطيت)) .

وقوله ﷺ : ((ملء السماوات وملء الأرض)) كله ثناء على الله وتمجيد لله ﷻ - أي لك الحمد حال كونه ملء السماوات وملء الأرض وقوله : ((أهل الثناء والمجد)) أي أنت أهل أن يثنى عليك وتمجد وقوله : ((أحق ما قال العبد)) أي أحق ما قاله العبد أن يثنى عليك بما أنت أهله فكان من هديه إذا رفع رأسه من الركوع أن يشغل هذا الموطن بالذكر . وقول البراء هنا : [لم يحن أحد منا ظهره] لم يقصد هذا الموضع ، وإنما قصد في حال سجوده ﷺ وأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا من شدة متابعتهم للنبي ﷺ - وعدم مسابقتهم له : أنهم لا يفعلون الأفعال إلا بعد استتمامه ﷺ لها .

[لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع رسول الله ﷺ ساجداً] وهذا يدل على أنهم كانوا ينتظرون وصوله عليه الصلاة والسلام إلى الأرض ، ومن هنا قال العلماء : إن السنة للمأموم والأفضل له أن يتأخر حتى يقع القول والفعل بعد قول الإمام وفعل الإمام ، واستحب بعض العلماء أن يشارك المأموم الإمام في القول والفعل مع التراخي وذلك بأن تكبر بعد أن يدخل الإمام في التكبير وهكذا في الفعل فلك أن تحني ظهره وقد انحنى

الإمام كامل الانحاء فتنحني أنت نصف الانحاء كل ذلك سرعة في المتابعة، ولكن الذي يظهر من حديث البراء -رضي الله عنه وأرضاه- أنهم كانوا ينتظرون تمام فعله عليه الصلاة والسلام ولهذا قال العلماء : إن الذي لا يبصر الإمام كمن يكون خارج المسجد والذي لا يرى الإمام وإنما يرى المأمومين أو لا يرى الإمام والمأمومين ككفيف البصر فإنه ينتظر هنيهة ولا يعمل على القول حتى يتم الإمام التكبير؛ لكي تتحقق له مرتبة الفضيلة من التأخر عن الإمام .

قال ﷺ : [حتى يقع رسول الله ﷺ ساجداً، ثم نقع سجوداً بعده] أي: نفعل الفعل بعد فعله صلوات الله وسلامه عليه وقد نبههم عليه الصلاة والسلام على ذلك وقال : ((لا تسبقوني إني قد بدت)) وهذا يدل على أنه ينبغي للمأموم أن يتحرى تمام فعل الإمام طلباً لهذه الفضيلة وتأسياً بأصحاب النبي ﷺ - فإن الله - ﷻ جعلهم خير الأمة بعد نبيها صلوات الله وسلامه عليه وزكاهم من فوق سبع سماوات وشهد ﷻ أن قرנם هو خير القرون ولاشك أن هذه الخيرية جاءت من متابعتهم لسنة النبي ﷺ - وحبهم لها والتزامهم بها وتطبيقهم لتلك السنة وحرصهم على التأسى برسول الأمة ﷺ - واقتدائهم به .

وقوله : [حدثني البراء - وهو غير كذوبٍ -] هذه الجملة اختلف فيها هل هي من قول أبي إسحاق السبعي أو من قول عبدالله بن يزيد -رضي الله عنه وأرضاه-؟ والصحيح: أنه من قول عبدالله بن يزيد. وقوله : [وهو غير كذوبٍ] فما كان أصحاب رسول الله ﷺ - إلا أهل صدق وبر كانوا صادقين فيما يقولون مؤتمنون على ما حفظوه فحفظوا الأمانة وأدوها وبلغوها على أحسن الوجوه وأتمها رضي الله عنهم وأرضاهم وقرن بأعلى الفردوس طيب أفعالهم وممشاهم - والله تعالى أعلم - .